Historical Geographical Aspects of Spanish Civil War

1936 - 1939

جوانب من الجغرافيا التاريخية للحرب الأهلية الأسبانية

١٩٣٦ - ١٩٣٩

د.خليف مصطفى غرايبة

قسم العلوم الأساسية

كلية عجلون الجامعية- جامعة البلقاء التطبيقية

المملكة الأردنية الهاشمية

khlaifgh@yahoo.com

▪ **الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

خليف مصطفى غرايبة ، جوانب من الجغرافيا التاريخية للحرب الأهلية الأسبانية (١٩٣٦ -١٩٣٩).-دورية كان التاريخية.-العدد الخامس ؛ سبتمبر٢٠٠٩. ص٨ -١٦.

(www.historicalkan.co.nr)

الملخص

كانت اسبانيا ملكية في العقد الثاني من القرن العشرين، ثم أصبحت جمهورية في بداية الثلاثينات، وفي سنة ١٩٣٦ اندلعت الحرب الأهلية الاسبانية على أثر إقالة زامورا Zamora وانتخاب آزانا Azana بدلاً منه، ومما زاد الأمر سوءاً تدخّل الدول الأوروبية في هذه الحرب التي انقسمت إلى فريقين، فريق بزعامة الاتحاد السوفيتي (سابقاً) يؤيد الجمهوريين أو حكومة مدريد ، وفريق آخر بزعامة فراكو (المتمردون) تدعمه ايطاليا وألمانيا.

يهدف هذا البحث إلى دراسة أسباب الحرب الأهلية الاسبانية ونتائجها وكيفية احراز فرانكو الانتصار على حكومة مدريد، وذلك من خلال استيلائه على مراكش الاسبانية وعلى عواصم الأقاليم الاسبانية وأخيراً إسقاط حكومة مدريد نفسها. فقد انعكست الخلافات العقائدية بين الدول الأوروبية على وضع اسبانيا الداخلي، الأمر الذي أدى إلى انهيار الاقتصاد الاسباني وإشاعة الفرقة بين أهلها ، وبذلك انتهت الحرب بانتصار الثوّار وقيام حكومة فرانكو الذي أعاد ترتيب البيت الاسباني وإعلانه الحياد عن الدول الأوروبية (حتى التي دعمته منها)، وإقامته حكومة كاثوليكية دكتاتورية أنزلت العقاب بخصومها ومعارضيها السياسيين بهدف نزع فتيل الحرب وإعادة الاستقرار إلى اسبانيا ، وكان له ما أراد ، ونظراً لما سبق فقد اتبع الباحث المنهج التاريخي في دراسته هذه.

المقدمة

يقول ابراهام لنكولن: "إن بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيع البقاء" ، وقد صدق هذا القول على اسبانيا ، فقد انقسمت هذه في الفترة ١٩٣٦-١٩٣٩ م إلى فريقين متخاصمين: حكومة مدريد أو الجمهوريين ، والثوار وعلى رأسهم فرانكو ، ولم يتردّد الفريقان في طلب العون والمساعدة من الدول الأوروبية ، كما أن هذه الدول لم تبخل عليهم ، فأرسلت الأسلحة والمال والرجال ، مما زاد الحرب اشتعالاً ، وهكذا أصبحت اسبانيا مسرحاً لصراع مرير ، كانت نهاية نجاح فرانكو.

اتبع الباحث المنهج التاريخي Historical approach التصاعدي التتّبعي للأحداث التي جرت في اسبانيا أثناء فترة الحرب الأهلية ، ولتحقيق أهداف البحث بهذه المنهجية فقد تناول الباحث في دراسة هذه المحاور التالية:

- لمحة عامة عن الجغرافيا التاريخية لاسبانيا.
- ظروف ما قبل الحرب الأهلية الاسبانية.
- أسباب الحرب الأهلية الاسبانية.
- سياسة عدم التدخّل في الحرب.
- شيء عن منظمة الفلنج.
- ثورة فرانكو.
- التدخل الأوروبي في اسبانيا.
- نتائج الحرب.

لمحة عامة عن الجغرافيا التاريخية لاسبانيا

إسبانيا ذلك القطر الذي اندلعت فيه نار الحرب الأهلية في عام ١٩٣٦م ، والتي جرّت إلى نيرانيها بقيّة دول أوروبا ، كانت لعدة أجيال ، بعيدة عن الحركات السياسية القومية العنيفة ، لقد شهد هذا البلد حروبا أهلية من قبل ، أهلها كانوا عاطفيين وسريعي الاهتياج والعنف ، ولكنه عنف طالما اعتاد أن ينمو وينتشر ضمن حدودها الإقليمية فقط ، ولقد كانت هذه في بعض الأحيان السبب المباشر لقيام حرب قومية ، كتلك التي قامت بين فرنسا وبروسيا ،عندما تقاتلتا على عرش اسبانيا سنة ١٨٧٠ م ، وهي نفسها قاتلت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٨ م ، غير انه لا حرب من هذه الحروب يمكن مقارنتها مع الحرب الأهلية عام ١٩٣٦م [١] ، في تلك السنة النحسة أصبحت اسبانيا ساحة القتال لكل المتخاصمين في أوروبا.

وتميل خريطة اسبانيا إلى الشكل المربع (الخريطة المرفقة) غير أن جغرافيتها الاجتماعية لم تكن متجانسة وملتحمة مثل فرنسا وايطاليا مثلاً ، كان في اسبانيا أربع لغات يتكلم بها البشر. ولقد عملت المناطق الجبلية حاجزا عجيبا وتنوعا في المناخ الذي سبب انقسامات حادة بين السكان الأسبان ، وكان الاسباني متكبرا وأنانيا يعتز بنفسه كثيرا ويعطي ولاءه لقريته فقط.

أما من الناحية الاقتصادية فان البلاد تظهر الكثير من المتضادات والمتناقضات فيها ، ففي بعض المناطق كان هناك نظام الملكيات الكبيرة من الأراضي ، وفي الأماكن الأخرى كان نظام الملكيات الصغيرة ، وفي الباسك وكتالونيا كانت هناك صناعة متقدمة ، بالمقابل كانت هناك طبقتا الفلاحين والعمال حيث الفقر والجوع ، ودليل ذلك أن مليونين من الاثنين وعشرين مليونا من السكان كانوا يقيمون في المدينتين الكبيرتين وهما مدريد وبرشلونة ، أما على مستوى القيادة السياسية فقد كان يتنازع عليها الإقطاع والنظام الكنسي [٢].

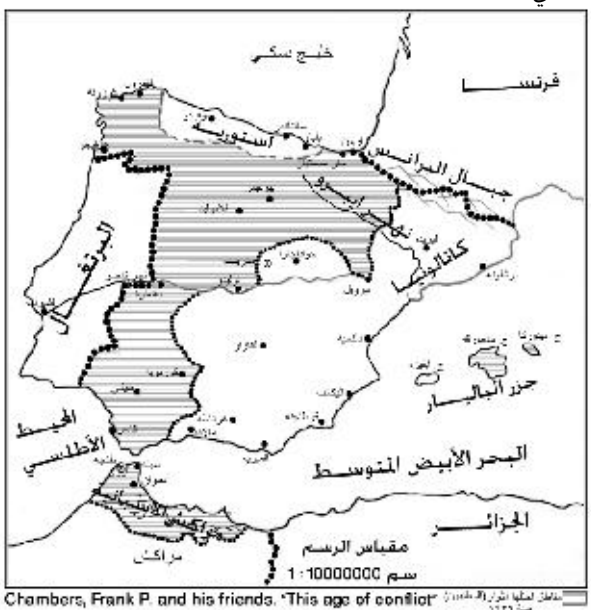

Chambers, Frank P. and his friends. "This age of conflict"

خريطة اسبانيا بين 1936 - 1939

لقد شكل الباسك والكتالونيين قوميتان منفصلتان في اسبانيا ، لكلّ تاريخه المميز ولغته واقتصاده ، وقد سكن الباسك في ثلاث مقاطعات هي فزكايا (Vizcaya) وجيوبزكو (Guipuzcoa) والالفا (Alva) ، وخلال تاريخهم حفظوا حقوقاً اقليمية (أرضية) لهم ، ومناجمهم التي قرب بلباو (Bilbao) كانت مشتغلة منذ زمن بعيد ، وأخيراً استخلص الباسك الصناعات الحديثة والطاقة الهيدروليكية من الجبال ، فتطورت منطقتهم ، لقد كانوا كاثوليك متعصبين ، وغالبا ما كانوا اشتراكيين[٣] ، ومهما يكن من أمر فان اسبانيا كانت ملكية في العقد الثاني من القرن الحالي ، وبدأت التيارات السياسية تفكك أوصالها ، فأصبحت جمهورية في بداية الثلاثينات. وفي سنة ١٩٣٦ قامت الحرب الأهلية الاسبانية والتي دمرت اسبانيا وحطمت اقتصادياتها وأشاعت الفرقة بين أهلها لمدة طويلة حتى سنة ١٩٣٩.

ظروف ما قبل الحرب الاهلية الاسبانية

تولى الفونسو الثالث عشر عرش والده في سنة ١٩٠٢ ، وكان عمره ١٦ سنة ، وكرّس حياته لعائلته وللكنيسة فقط ، وكان مولعا بحب السلطة ، فخوراً بعرشه ، وكان يغيّر ويبدّل الوزارات رغم إخلاصها له ، وأكبر دليل على هذا تعاقب ٣٣ حكومة في الفترة الواقعة بين سنة ١٩٠٢ –سنة ١٩٢٣ ، وكانت لا تمر سنة واحدة دون قيام مظاهرات أو حركات تمرد عسكري[٤].

وبينما كان الجيش الاسباني منهوك القوى في عملياته العسكرية ضد عبد الكريم الخطابي وزعماء الريف في مراكش ، أخذ الملك على عاتقه إنهاء الثورة الريفية بالقوة ، إلا أن قوات الملك منيت بكارثة عسكرية شنيعة وذلك بوقوع ٢٠٠٠٠ جندي اسباني في كمين نصبته له القوات العربية المراكشية ، وقتل منهم حوالي ١٢٠٠٠[٥] ، ومن الطبيعي أن يكون لهذه الحادثة وقع كبير في اسبانيا بإيجاد أزمة داخلية حادة في البلاد ، وعندما قدمت اللجنة البرلمانية تقريرا مفاده الاستفسار عن المسئولين عن الكارثة ومحاكمتهم صادرت الحكومة هذا التقرير ، ومنعت نشره ، لاحتوائه على اتهامات وفضائح تمس شرف الملك ومقامه الرفيع.

وقد أحدث كل هذا بلبلة لدى البرلمانيين والصحافة والشعب ، وطالبوا الحكومة بتنفيذ ما جاء فيه حرفيّاً ، وللخروج من الأزمة قاد الحاكم العسكري لمنطقة كتالونيا ، الدون بريمو دي ريفييرا (Don primo de Rivera) ، جماعة من العسكريين الموالين للحكم وأسقط الحكومة القائمة آنذاك ، ونصب نفسه دكتاتوراً عسكرياً على اسبانيا[٦] وفرض أحكامه العرفية عليها.

وقد استولى على الوثائق التي استخدمتها لجنة التحري البرلمانية ، والتي أدانت القادة العسكريين في الكارثة الحربية التي حاقت بالجيش الاسباني في مراكش[٧] ودام حكم هذا الطاغية عامين مما أثار الرأي العام ضد الكتاتورية السكرية ، بل وضد الملكية بوجه عام ، وكانت البلاد تغلي بالسخط والحقد سنة ١٩٢٨ ، وبدأت حركة التمرّد كردّ فعل على هذا العصيان ، ففي سنة ١٩٢٩ انتشر التمرد في الجيش ، وقام طلاب الجامعات وطبقات العمال بالمظاهرات وإحداث الشغب ، مما أدى إلى زعزعة بريمو ريفييرا ، ودار في خلد زعماء الحركة أن النظام الجديد (الجمهوري) هو الحل الوحيد للقضاء على الحكم الملكي الفاسد ، ونتيجة لكل ذلك قدم بريمو ريفييرا استقالته في ٢٨ كانون ثاني سنة ١٩٣٠ وغادر البلاد ، وما كان من الملك سوى الاستسلام للمطالب المقدّمة ، وكانت تتمثل بما يلي[٨] :

(١) إعادة العمل بالدستور القديم الذي صدر سنة ١٨٧٦.

(٢) إجابة مطالب طلاب الجامعات وأساتذتها بالعفو عن المسجونين السياسيين.

(٣) إجراء انتخابات حرة وافية حتى يتهيأ للبلاد برلمان وطني يمثل الشعب حق تمثيل.

وكان موعد الانتخابات في شباط سنة ١٩٣١ ، فانتهزت الأحزاب الجمهورية الفرصة[٩] وعملت استفتاء للشعب لاختيار الحكم الملكي أو الجمهوري ، وقد لقي الجمهوريون نجاحاً باهراً في مدريد وبرشلونة ، وقد شكّل هذا صدمة عنيفة للملك ، وأدرك أن الخطر سيجرفه ، فما كان منه إلا مغادرة اسبانيا للنجاة بنفسه ، ولكنه في الوقت نفسه لم يعلن تنازله عن العرش ، على أمل انه سيستدعونه في المستقبل ، بعد أن تتفشّى الفوضى ، ولكنها كانت القاضية على حكمه ، وعاش الفونسو الثالث عشر في المنفى بفرنسا حتى تشرين ثاني سنة ١٩٤١[١٠].

وفي هذا الوقت كانت اسبانيا تعاني من الانقسام وتنافس الزعماء والأحزاب على الحكم ، وفشل المجلس التشريعي المنتخب (الكورتيس Cortes) في اجتماعه في حزيران سنة ١٩٣١ في تغيير النظام الجديد ، وإقامة حكم جمهوري يتلاءم مع مطالب الشعب[١١] والذين يتمثلون بالفئات التالية:

(١) اليساريون حيث يطالبون القيام بثورة اجتماعية جذرية

(٢) الأحرار المعتدلون بقيادة الزعيم ازانا (Azana) يريدون الإصلاح وباعتقادهم أن اسبانيا بحاجة ماسة إلى الاستقرار.

(٣) الاكليركليين وهؤلاء قبلوا النظام الجمهوري في الظاهر بينما في داخلية أنفسهم لا يحبونه مطلقا.

وقد أعلن زامورا (Zamora) ، زعيم حركة الانقلاب ضد الملكية ، قيام هذه الجمهورية وأصبح رئيسا مؤقتا لها ، وقد ألف حكومة مؤقتة كذلك من أعضاء معتدلين ، ينتمون إلى الأحزاب الجمهورية ممن يدينون بالاشتراكية[١٢] ، وقد سارعت الحكومة الجديدة لوضع خطة ، تواجه متطلبات عديدة ، من بينهم:

(١) أولئك الذين استنكروا امتيازات الكنيسة وتدخلها في شؤون الدولة.

(٢) الاشتراكيون الذين يتطلعون إلى نظام اجتماعي واقتصادي جديد للدولة.

(٣) الجمهوريون الذين كانوا ينادون بوضع دستور يقوم على مبادئ الديمقراطية بحيث لا يترك مجالاً لرجال الجيش للتحكم في مصير الشعب أو يتسلطوا على السلطات المدنية.

(٤) اللامركزيين الذين ينادون بإقامة الحكم المحلي في البلاد ، والقضاء على مركزية الحكم في العاصمة ، وتجاه كل ذلك أعلنت الحكومة الجديدة ضمان الحرية الدينية والمدنية وحماية حقوق الملكية الخاصة ، ودعت جميع المنفيين بالعودة إلى اسبانيا وسرحت السجناء السياسيين وقامت باعتقال عدد من الموظفين الذين يؤيدون النظام الملكي ، ووعدت بالإصلاح خاصة في مجال الزراعة ، ووعدت بإجراء انتخابات لتكون جمعية تكوّن برلماناً (Company Constuent) تتألف على أحدث النظم الدستورية[١٣].

ووفقاً لذلك أجريت انتخابات في حزيران سنة ١٩٣١ ، وهي انتخابات جاءت بأغلبية من الجمهوريين اليساريين والاشتراكيين[١٤] وأصدرت هذه الجمعية دستورها الجديد الذي أعلن عن قيام جمهورية

العاملين من جميع الفئات ، وإنشاء مجلس النواب (الكورتيس) ينتخب أعضاؤه لمدة أربع سنوات بطريقة التصويت العام. وأصبحت اسبانيا جمهورية ديمقراطية برلمانية حيث أن السلطة التنفيذية كانت في يد حكومة مسئولة أمام البرلمان ، وأصبح الشعب يتمتع بالحرية الدينية [١٥] وأصبحت ثروة البلاد في خدمة الاقتصاد الوطني ، وانتقلت اسبانيا من دولة إقطاعية إلى دولة تحاول تطبيق الاشتراكية.

ونال زاموا ثقة الشعب فأصبح رئيساً للجمهورية ، لذا استقالت الحكومة المؤقتة وتشكّل مجلس وزراء جديد برئاسة الزعيم (Azana) ، وفي سنة ١٩٣٢ حُلّ نظام الجزويت وصودرت أملاكهم ، حيث قدرت بثلاثين مليون من الدولارات ، وصرفت لصالح الشعب. وفي سنة ١٩٣٣ أصبحت الرئاسة الدينية (بصدور قانون) لمختلف الفئات للمواطنين الأسبان دون غيرهم. وألغيت المدارس التابعة للكنائس مباشرة. وأُمّمت أملاك الكنيسة رغم احتجاج البابا على هذه الأعمال. وصادرت الحكومة حوالي خمسين مليون فدان ، من الأراضي التي استولى عليها الملك قبل قيام الثورة ، ووزعت على الفلاحين وأصبح هناك ثلاث طبقات تعادي النظام الجديد وهي [١٦] :

(١) الملكيّين.
(٢) رجال الدين.
(٣) الطبقة الارستقراطية.

ولم يكن هؤلاء وحدهم أعداء النظام الجمهوري الجديد ، بل كانت هناك فئة يسارية متطرفة ترى ان الثورة يجب ان لا تنتهي عند هذا الحد ، بل نادت بوجوب قيام حكومة شيوعية في اسبانيا ، تتبع نظام الحكم في الاتحاد السوفييتي ، وكانت تجري محاولات م نقبل الملكيين والشيوعيين في السنتين ١٩٣٢ و١٩٣٣لقلب نظام الحكم. وعندما حلت انتخابات سنة ١٩٣٣ انهزمت الاحزاب اليسارية لتحلّ محلّها الاحزاب المعتدلة ، التي تحاول الابتعاد عن المعسكر اليساري. [١٧]
فالغت الكثير من اجراءات الحكومة السابقة ، وحسنّت علاقاتها مع الفاتيكان. وتنبهت لهذا الامر الاحزاب اليسارية التي بدأت تشعر أن الحكومة أخذت تبتعد عنهم ، فقرر زعاؤهم العمل على تغيير وضع البلاد. واندلعت الثورة في سنة ١٩٣٤ والتي اتسمت بالمبادئ الشيوعية وخاصة في (Austurias) ولكن الحكومة سارعت إلى القضاء عليها ،وفي سنة ١٩٣٥ ضبطت رشوة أعطيت لبعض مساعدي رئيس الوزراء الراديكالي ليرو (Lerroux) ، وقد أودت هذه الفضيحة بسمعة الحكومة مما أدى إلى استقالتها.

وفي هذه الأثناء ظهر جل روبلز (Gil Robles) الذي أصبح وزيراً للدفاع والذي كرس نفسه لتصدي (Azana) في محاولة الأخير جمهرة الجيش وقد حُلّ الكورتيس وذلك لإيجاد حزب مركزي جديد ، ويستطيع أن يحلّ محلّ الراديكالية ، كما أمر رئيس الجمهورية إجراء انتخابات من هذه الغاية [١٨] .

وقد ظهر طرفان أثناء إجراء الانتخابات: الأول حزب اليمين وأهمهم روبلز (Robles) الذي ترأس الاتحاد الفدرالي الاسباني المستقل (C.E.D.A) وشاركه بعض الجماعة الأخرى ، والثاني حزب اليسار ويضمّ الاشتراكيين والبرجوازيين الديمقراطيين الذين اتحدوا لأغراض انتخابية بما يُسمّى بالجبهة الشعبية (P.F) ومن أهمهم آزانا ، وحينما جرت الانتخابات فازت الجبهة الشعبية بـ٢٧٨ مقعداً ، بينما حصل اليمين على ١٣٤ مقعداً [١٩] ، وقد أصبح آزانا نتيجة لذلك رئيساً للوزراء ثم رئيساً للجمهورية مرة أخرى. وقد رفض الاشتراكيون الاشتراك الفعلي في إدارة الحكم. ولذلك كانت هناك بعض التحذيرات من أن هناك ثورة توشك على الحدوث ، ولكن على أي أساس ستقوم ؟ ومتى ؟ وأين ؟ فهي أسئلة لم يقدر على إجابتها أحد ، إلا أن أحد اليساريين قال: "ستكون هناك ديكتاتورية عمالية تنجم عن هذه الثورة" ، وقد حدث أن تمرد بعض الفلاحين في الجنوب واستولوا على مساحات من الأراضي الأميرية ، واتهمت الحكومة بتقصيرها في حفظ النظام ، وفي سنة ١٩٣٦ أعلن عن الحوادث التي حدثت في اسبانيا منذ الانتخابات فكانت كما يلي [٢٠] :

حرق ١٦٠ كنيسة و٢٦٩ جريمة اغتيال سياسية و١١٣ إضراب و٢٨ إضراب جزئي ، ولذلك هوجمت مكاتب عشرة جرائد والتي نشرت هذا ، لذلك لم يكن العنف مقصوراً على اليمين وحده ، أو على اليسار وحده بل كان كلّ من الطرفين مسئول عن العنف ، فاقتتل الناس في شوارع مدريد وعجزت الحكومة عن حفظ النظام ، ومنع الاعتداءات على الأرواح وهدم الكنائس ، وأصبحت اسبانيا في حزيران سنة ١٩٣٦ [٢١] على أبواب حرب أهلية طاحنة.

أسباب الحرب الأهلية الاسبانية

إن الثورات الذاتية في الجيش الاسباني بيّنت أن الثورة الجديدة لم تكن مفاجأة ، بل هي حركة خُطّط لها بمهارة ، منذ أمد بعيد [٢٢] ، يمكن اعتبار إقالة زاموا من رئاسة الجمهورية في نيسان سنة ١٩٣٦ وانتخاب آزانا ، هي البداية الفعليّة للخلافات الطاحنة بين مختلف الجهات ، وقد كثُرت الاضطرابات وأعمال العنف التي قام بها أعضاء اليمين واليسار على حدّ سواء [٢٣] ، لذلك اضطر آزانا (Azana) عندما أدرك خطر الجيش على حكومته ، إلى إحالة بعض الضباط ، المشتغلين بالسياسة ، على التقاعد ، كما أنه قام بتفريق من شكّ في إخلاصهم ، ومن بين هؤلاء الضباط "فرانشكو فرانكو" (Franco) ، وكان هذا يقود الفرقة الاسبانية التي نعمل في مراكش ، كما نُفي معه الجنرال غودد (Ghoded) ونقل هؤلاء إلى جزر الكناري كما أنه قام بنقل الجنرال مولا (Mola) من المغرب إلى بامبلونا [٢٤] .

إزاء ذلك أصبحت الجمهورية مهددة في أي وقت بالأخطار ، وطبيعي أن تحدث هذه التنقلات بلبلة وتشتت أفكار المخططين للثورة وهناك أسباب أخرى دعت إلى قيام هذه الحرب ، ومن أهم هذه الأسباب ، هو عدم تحطيم الجمهورية لتلك الفئة التي تحكمت في مصير البلاد ومصادر ثرواتهم ، وعدم تحقيقه بسرعة لأن الشعب الاسباني كان هكذا يشك ويتمنى ، لكن الحكومة أخذت الأمور بهوادة وتؤده فنفذ لذلك صبر الفلاحين والطبقة العاملة.

بالإضافة إلى كلّ ذلك فان المتطرفين من الأحزاب اليساريّة وأحزاب اليمين في اسبانيا ، أصبحوا يرون أنّ الحل الوحيد يكمن في تحقيق أهدافهم باستخدام القوة ، ففي منتصف حزيران سنة ١٩٣٦ هاجم الحكومة زعيم من دعاة الملكيّة اسمه جوزيه كالفوستيلو ويتهمها بالجبن والضعف عن صدّ التيارات السياسيّة وفي الوقت نفسه أخذ اليساريون يعدّون العدّة لأحداث انقلاب شيوعي [٢٥] ، لهذا نرى تشرشل يقول بأن أحد أسباب الحرب الأهلية ، ترجع إلى "أن سياسة لينين –نظري الشيوعية ومؤسسها- هي تشجيع أي حركة يساريّة في العالم ، حيث بدأت الشيوعيّة تدخل مع عناصرها الراديكاليّة ، اسبانيا ، حتى انفجرت الحرب الأهلية التي أدّت إلى تردّي أوضاع اسبانيا إلى درجة سيئة جداً [٢٦] .

سياسة عدم التدخل في الحرب

اقترحت الحكومة الفرنسيّة ، منذ أول سنة ١٩٣٦ على الدول التي لمست منها التدخّل في هذه الحرب ، كالاتحاد السوفيتي وايطاليا وألمانيا خاصّة ، وبلغت بذلك كلّ دولة ، إلا أن القبول بذلك ظل شكلياً محضاً [٢٧] ، ولكنه بالنسبة لبريطانيا كان حقيقةً ، إذ لم تتدخل بريطانيا لإدراكها الحقائق التالية —كما وردت في كتاب خطوة بخطوة لتشرشل- [٢٨] :

(١) انقسام اسبانيا إلى فريقين متحاربين.

(٢) غمعان كلّ من الطرفين في قسوته وعدم رحمته.

(٣) أيّاً كان المنتصر فان اسبانيا ، بعد انتهاء الحرب ستبقى دولة صغيرة وضعيفة لتعيد بناء نفسها بعد ذلك ، وهذا لا يهم بريطانيا كذلك.

(٤) لا يمثل أيّاً من الطرفين المتخاصمين وجهة البنات البريطانية بأي حال من الأحوال.

(٥) بتساؤل تشرشل: هل حالة بريطانيا الدفاعية جيّدة حتى تقوم بمساعدة أناس لا يهمونها؟ يخلُص تشرشل من هذا التساؤل ، بأنه ليست بريطانيا أية مصلحة في التدخّل في الحرب الأهلية الاسبانية.

(٦) رغم تبنّي فرنسا لفكرة عدم التدخّل فإنها تُشارك الاتحاد السوفيتي بإرسال الأسلحة والعتاد إلى الكابتن كابااليرو (Caballero) وألمانيا وايطاليا تُرسل الأسلحة إلى الجنرال فرانكو ، وهذا لا يهم بريطانيا.

ويقول تشرشل : "وعندما قرأت عن أعداد المتطوعين من ألمانيا النازيّة وايطاليا الفاشيّة ، لمقابلة المتطوعين من روسيا البلشفية والمتطرفين الشيوعيين في فرنسا ، حزنت على هذه الحملات البربرية"[٢٩] ، لذلك نرى أن الحكومة في بريطانيا كانت محافظة والرأي العمالي لصالح السياسة الاسبانية ، لذا فان هذا التناقض جعل الموقف أفلاطونياً ، لأن مؤتمر نقابات العمّال صرّح بسياسة الامتناع ، وما تريد الحكومة الانجليزية هو احترام سلامة أراضي اسبانيا بما فيها جزر البالئيار [٣٠] ومع أن سياسة "عدم التدخّل" تبنتها فرنسا إلا أنها لم تلتزم بها ، ونقدر أن نقول بأن بريطانيا هي الوحيدة التي التزمت بهذه السياسة - من بين الدول التي وجه لها رسائل بهذا الشأن- وقد قال الوزير الانكليزي الأول نيفل تشامبرلن (Neville Chomberlain) : "إنه وهم ولكنه وهم ضروري لاجتناب الحرب" وسوف نرى أن هذه السياسة أفادت ، خاصة ايطاليا وألمانيا ، كما أفادت نظام فرانكو وسهلت ظفر الفاشية في اسبانيا.

شيء عن منظمة الفلنج "FALANG"

حينما ظفرت "الجبهة الشعبية " المؤلفة من الشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين والبورجوازيين ، في شباط سنة ١٩٣٦ [٣١] ازدادت مخاوف حزب اليمين في اسبانيا وأدى بهم هذا ، إلى القيام بمزيد من العنف والأعمال التعسفية ، وإزاء هذا الوضع الغائم والأحوال السيئة ، شُكّلت منظمة الفلنج ، التي تمتاز بغموض في عقيدتها ، ولكنها تنادي بفكرة تعاون الطبقات أكثر من فكرة صراع الطبقات ، والتأكيد على وحدة اسبانيا وقد كان أعضاء الفلنج من الأحرار البرلمانيين ، وكان أشهر رجالاتها ، زعيمها "Josey Antonia" الذي أبدى نوعاً من التعاطف على الاشتراكيين ، وكان كرهه لليمين المحافظ واضحاً ، خاصةً بعد الانتخابات التي جرت عام ١٩٣٦م ، ولم يشارك أعضاء منظمة الفلنج الذين حصلوا على مساعدات مالية "جوزي انتونيو" في نظرته لكلٍّ من الاشتراكيين واليمين ، كما أن أعضاء الاتحاد الفدرالي الاسباني المستقل —الذين آمنوا بالعنف الثوري والارهاب المضاد- لم يوافقوه ، في نظرته تلك.

ويبدو أن "جوزي انتونيو" لم يكن قادراً على أن يمنع التزايد الهائل في مليشيا منظمة الفلنج —وهم من فئات الشعب المختلفة الاتجاهات —لذلك أعلن في آذار عن حلّ هذه المنظمة ، وأُعتقل معظم قادتها ومن بينهم "جوزي انتونيو" [٣٢] وأصبح هذا يؤمن أن الثورة يجب أن تكون بعيدة عن العقلية العسكرية الضعيفة ، وبشكل سري ومنظم ، ولكنه أُعدم في نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٣٦ ، وهكذا لم تعمل منظمة الفلنج بما كانت تنادي به لاسبانيا ، بل قضت عليها المنازعات الداخلية وظروف اسبانيا بشكل عام.

ثورة فرانكو

حاول بعض قادة الجيش الاسباني ، القيام بحركة عصيان ، والتمرد على الحكومة لصالح الملكيين في تموز سنة ١٩٣٦ [٣٣] ، إلا أن زعيمهم سانخورخو (Snjurju) كاهنفياً في البرتغال ، قتل بحادث طائرة ، قبل بضعة أيام من التاريخ المزمع لبدء الثورة ، حينما كان قادماً ليرأس تلك الحركة [٣٤] ، وفي الوقت نفسه كان الرئيس فرانكو قد غادر جزر كناري إلى مراكش ليرأس حركة التمرد التي قامت بها عدة فرق اسبانية ، كانت ترابط في مراكش ، لذا وبعد ان قُتل سانخورخو ، كان على فرانكو —رئيس الأركان العامة للجيش الاسباني —الذي جردته الحكومة من وظائفه في السابق ، أن يخلفه على رأس الحركة [٣٥] وهكذا أصبح فرانكو هو الزعيم الوحيد في نظر المتمردين ، الذين عقدوا عليه آمالهم ، لإسقاط نظام الحكم ، لهذا انضمت إليه أفواج الحاقدين على الحكومة ، من كبار الضباط العسكريين والبحريين في الجيش الاسباني وأغلبية من الجنود ، وفرق المغاربة ، والفرق الأجنبية ، وعدد لا يستهان به من المدنيين المحافظين ، ومن الملكيين والفاشست ، وعدد من الأفراد الذين كانوا في منظمة الفلنج ، وفريق ممن يعطفون على الكنيسة ، وقدّر عدد هؤلاء جميعاً حوالي ٢٧ ألف.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل دخلت قوات أجنبية إلى اسبانيا من ايطاليا وألمانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي [٣٦] —كما سنرى فيما بعد —ومن الجدير بالذكر أن معظم هؤلاء كانت لهم تجارب سابقة في هذه الأمور ، في كلّ من المغرب وكوبا ، كما أن لبعضهم تجارب في حركات التمرد التي كانت تحصل في اسبانيا قبل الحرب الأهلية [٣٧].

مهما يكن من أمر فان الحرب الأهلية بدأت في ١٧ تموز سنة ١٩٣٦ في مراكش الاسبانية ، لتضمّ بعد أيام ، كلّ من قرطبة وقاديس في الجنوب ، وسراقوصته وبيرجس وغاليسيا في الشمال ، إلى جانب المتمردين ، وفي نهاية سنة ١٩٣٦ أصبح ثلاثة أخماس اسبانيا في يد المتمردين (الوطنيين كما يسمون الآن).

أمّا الحكومة القائمة فلم يكن لها أنصار سوى فريق صغير من رجال القوات المسلحة [٣٨] ، وكان لهم أنصار كثيرون من الفلاحين وعمال المدن ، وأفواج كثيرة من المجندين الذين ليس لديهم قادة واضحين ، وعدد من الضباط المبعدين وعلى رأسهم مياجي (Miaja) وروجو (Rojo) ، وكما لعب كلّ من الكاتالونيين والباسك الدور الكبير إلى جانب الحكومة [٣٩] ، كما انضوى تحت لواء الحكومة عدد من المتذمرين الذين ساءهم اعتماد فرانكو على المغاربة الذين أتوا

ليحاربوا الأسبان في اسبانيا ، ووفد على اسبانيا لمساعدة حكومة مدريد ألاف المتطوعين من الاتحاد السوفيتي وفرنسا ، حيث تكونت منهم فرق هجومية وكان يُقدّر عدد هذه الفرق بـ ٦٥٠٠ جندي ، كانت لهم الشخصيّة التعاونية المميزة ، والقيادة المدرّبة كما قامت الاتحادات التجارية بتسليح آلاف الرجال من مخازنها [٤٠].

مثل هذه الفرق كانت تُحدث الفوضى والضجيج بعرباتها (Motor tracks) التي تتجول في شوارع المدن الكبير ، والتي يبدو أنها كانت المكان الوحيد لتجمعهم. كان بإمكان قوات الحكومة القيام بحرب عصابات ، وخاصة في المناطق الجبلية ، حيث كان لديهم من الشجاعة والحماس الشيء الكثير وقد تنبه الجمهوريّون (قوات حكومة مدريد) إلى أهمية الموارد الاقتصادية التي ساعدتهم كثيراً فيما بعد ، لتمركزهم في أماكن إستراتيجية ممتازة فقاموا باحتلال لمناطق الصناعية في كلّ من مدريد وبرشلونة وبلباو ومناجم الفحم في استرياس [٤١] (Asturias) كما كان لديهم أحسن البقاع من أراضي اسبانيا الزراعية إلا أن عيبهم الوحيد هو أنه ينقصهم التنظيم والقيادة ، أمّا قيادة الجمهوريين في الحرب (على الأقل في البداية) فكانت تتشكل من لجان الدفاع (Commitees of defense) والتي كان نصفها من السياسيين والنصف الآخر من الروس ، والذين كانوا يتهوّرون كثيراً في اتخاذ قراراتهم غير المناسبة ، وهذه القرارات كانوا يفرضونها على من يقودونهم فرضاً [٤٢].

الحرب الأهلية كما قال أحد معاصريها هي : "انتصار كبير للاقليمية ، وقد كانت فرصة سعيدة لدى الاتحادات التجاريّة ، والتجمعات السياسيّة السريّة في البلاد خاصّة في منطقة كتالونيا كما أنها كانت فرصة جيدة لدى رجالات الاقتصاد الفوضويين (Anarcho-Syndicalists) والبلاد الاشتراكية ، فالشيوعيون الأسبان الذين عشقوا حكومة موسكو ، كان عليهم التشاور مع المفوّض الشيوعي قبل الإقدام على اتخاذ أي أمر [٤٣]".

مقابل حياة الفوضى التي كانت تعيشها حكومة مدريد والتي لم تتنبّه لها أو تأخذها بعين الاعتبار كانت حشود فرانكو تضغط على أنصار فرانكو أن يحرزوا نصر سريع من خلال ثلاثة خطوات [٤٤]:

(١) الاستيلاء على مراكش الاسبانية .

(٢) الاستيلاء على عواصم الأقاليم.

(٣) إسقاط الحكومة في مدريد.

وقد نجحت الثورة في تحقيق أول هدف ، أما الهدفين الأخيرين فكان من الصعب عليهم تحقيقهما ، وذلك للمقاومة العنيفة التي أبداها أنصار الحكومة ، ولكن هذه المقاومة لم تطُل ونقلت الحكومة مقرها إلى فالنسيا ، لاقتراب جيش فرانكو من مدريد ، واعترفت ألمانيا وايطاليا بحكومة فرانكو الوطنية التي أسسها في مدينة بيرجس [٤٥] (Burg os).

وقد ضمت وزارة الزعيم الاشتراكي كاباليرو (Capallero) رئيس حكومة مدريد عدداً من الاشتراكيين والشيوعيين لأول مرة لذلك رأت حكومة الاتحاد السوفيتي أن تقوم بتقديم يد المعونة إلى حكومة مدريد رغم أنها لم تكن شيوعية على الإطلاق ، وسرعان ما اتخذت الحرب الأهلية الاسبانية مظهراً دولياً وصراعاً ايدولوجياً بين مبادئ الدول الأوروبية المختلفة ، أي بين الشيوعية وأعدائها ، بين "الحُمر" والفاشست كما أطلق عليهم مؤخراً [٤٦].

ويقول تشرشل: " ولقد اتصفت هذه الحرب بالقسوة والبشاعة وذلك لإيمان كل طرف منهما بأن الغالب سيُفني الجانب المهزوم بعد الانتصار ، وأنه اليأس الذي دفع كل جانب بأن يتصف بعدم الشفقة والرحمة في القتال" [٤٧] حتى أن تشرشل يُسمّي هذه الحرب بمأساة الاسبانية ، وقد أدرك فرانكو خطورة هذا الموقف في بادئ الأمر ودليل ذلك أنه أرسل برسالة إلى وزير الحربية قبل ثلاثة أسابيع من اندلاع الحرب يحذّر فيها الحكومة ، ويدعوها للاستسلام ، وبالمقابل كان جنرالات الحكومة يتوقعون أنها حرب سهلة ، مما دفعهم للاستمرار بالقتال بخطط لا تتصف بالعمق مطلقاً [٤٨] ، وقد زاد الحرب تعقيداً تدخّل الدول الأجنبية في الحرب ، فلم يتردد الفريقان في طلب المساعدة من الخارج ففي ١٩ تموز أرسلت حكومة مدريد تطلب المعونة والنجدة من فرنسا ، وبالمقابل أرسل فرانكو رسله إلى ألمانيا وايطاليا ليطلبوا العون من هتلر وموسوليني [٤٩].

وقد تمكّن فرانكو من نقل قواته المرابطة في مراكش ، وكان بعضها من المغاربة ، بواسطة طائرات ألمانية وايطالية ، وإنزالهم في البرتغال لمخاصمة رئيس دولة البرتغال لحكومة الجمهوريين في اسبانيا. أما هتلر وموسوليني فقد برّروا تدخلهما في هذه الحرب بحجة أنهما يعملان ضد المبادئ الشيوعية ولأن ستالين في تدخله في الحرب الأهلية الاسبانية ، أراد أن يقوّي ساعد الشيوعيين الأسبان ، مما زاد في حنق كل من هتلر وموسوليني وقد اقترحت فرنسا في ٢ آب سنة ١٩٣٦ (وكما بينت سابقاً) أن تتفق كل من ايطاليا وبريطانيا وفرنسا رسمياً على عدم التدخل في اسبانيا ، ولم تلتزم بهذا الاقتراح سوى بريطانيا التي رأت أنه من غير مصلحتها التدخّل في هذه الحرب [٥٠] ، وقد ضاعت توصيات المندوب الاسباني سُدىً في عصبة الأمم ، لأن كلّ من ألمانيا النازية وايطاليا اللتان ساعدتا فرانكو ، ليستا في هذه العصبة ، فالأولى غادرتها إلى غير رجعة والثانية كانت على وشك الخروج بعد غزوها للحبشة ، ولما كان تدخّل الدول الأوروبية هو الذي قرر مصير هذه الحرب فمن الواجب علينا أن نناقش تدخّل كل دولة على حدة ثم نبيّن كيف أصبحت نهاية هذه الحرب بعد ذلك.

التدخل الأوروبي في اسبانيا

امتاز القرن التاسع عشر بالنسبة لاسبانيا بكثرة الحروب الداخلية ، كما امتازت هذه الحروب بتدخّل الدول الأجنبية ، وقد كان تدخل هذه الدول في بادئ الأمر مقتصراً على إرسال الأسلحة والمال ، أما في الحرب الأهلية سنة ١٩٣٦ فقد اختلف الأمر ، وأخذت القضية مجرى آخر ، ذلك أن هذه الدول أرسلت متطوعين وفنيين بل وفرقاً مجندة ، وأصبحت اسبانيا مسرحاً لصراع مرير [٥١] قاسى أهواله الآلاف من البشر ، وأصبح على هذا المسرح فريقين هما:

(١) حكومة الجمهوريين في اسبانيا يدعمها كل من الاتحاد السوفيتي وفرنسا.

(٢) الثوّار برئاسة فرانكو ويدعمهم كلّ من ايطاليا وألمانيا.

أما حكومة بريطانيا فكانت لا تحبّذ فكرة التدخّل ، ويقول تشرشل في هذا المجال: " إننا لا نؤيد قيام حكومة فاشية تابعة لايطاليا ، أو نازية تابعة لألمانيا ، أو شيوعية تدور في فلك روسيا البلشفيّة فإن قامت في اسبانيا إحدى هذه الحكومات فهذه مصيبة كبرى وأن ما نريده هو قيام حكومة حرّة في اسبانيا تعمل على خدمة مصالح شعبها ورعايته [٥١].

موقف الاتحاد السوفيتي

مع أن حكومة اسبانيا لم تكن شيوعية بحتة ، إلا أنها كانت تحوي بعض الوزراء الشيوعيين وهذا ما دعا الاتحاد السوفيتي للتدخل ، والذي يشجّع كل حركة يسارية في العالم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه ولا شك يُريد أن يوجد مركزاً شيوعياً في أوروبا الغربية [٥٣] ، وكانت مساعدات روسيا قاصرةً على إرسال الغذاء والمواد الخام ، لكنها بدأت منذ منتصف تشرين الأول سنة ١٩٣٦ في إرسال المعونات العسكرية [٥٤] ، وقد وصلت الفرق التي ضمّت جنسيات شيوعيّة مختلفة التي أرسلها الكومنترون ، للاشتراك في هذه الحرب إلى مكان بين مدريد وفالنسيا ، حيث ترأسها الشيوعي الفرنسي مارتي (Marty).

ومن الجدير بالذكر أن هذه المساعدات الروسية ومنها الطائرات أنقذت مدريد من السقوط العاجل ، رغم المساعدات الكثيرة لقوات فرانكو من دول المحور.

موقف فرنسا

رغم أن فرنسا هي التي تبنّت اقتراح عدم التدخّل في الحرب الأهلية ، ورغم تصريح ليون بلوم (Leon Blum) رئيس الجبهة الشعبيّة ، بعدم مدّ اسبانيا بمساعدة عسكرية وقوله : "إن أسباب الحرب في حدّ ذاتها ثقيلة ، وان فرنسا لا تفكّر بزيادة خطورتها بكفاح مذهبي"[٥٥] رغم كل هذا كانت المساعدات تصل إلى حكومة مدريد عن طريق فرنسا ، وكانت المساعدة –بمقابل ذلك– تصل إلى الثوار عن طريق البرتغال على أية حال ، تدخلت فرنسا في الحرب وذلك بقيام الاتحاد العام للعمل والحزب الشيوعي فيها ، بحملةٍ منذ بدء الحرب الأهلية لترسل هذه الحملة أسلحةً وعتاداً حربيّاً إلى الجمهوريين وقد عُرف عن ليون بلوم بتفضيله لحكومة الجمهوريين رغم التصريحات التي نادى بها ، وتركت الحكومة الفرنسية المتطوعين والأسلحة يذهبون إلى اسبانيا.

موقف ايطاليا

لقد تدخلت كل من ايطاليا وألمانيا في الحرب بشكل صريح ، وقد كانت هناك فكرة سابقة لدى هاتين الدولتين بالتدخل في اسبانيا ، وذلك عندما سافر سانخورخو ، الذي تقرّر أن يكون زعيم الثورة إلى روما وبرلين لطلب المساعدة وأن تدعماه في حركته. كما دلّت الوثائق الصادرة عن أصدقاء الجنرال فرانكو أن أحد القادة الثوّار وهو الجنرال مولا (Mola) كان قد وقّع اتفاقاً سرياً ، مع حكومة ايطاليا ، بتقديم ايطاليا الأسلحة والمال مقابل حصولها على فوائد اقتصادية في اسبانيا [٥٦] ، ولذلك كانت ايطاليا تعمل على إنجاح فرانكو .. لأنها كانت ترى أن حكومة فرانكو ستتخلى لها عن قواعد بحرية أو جويّة في جزر البالئيار (Baleares) للأهمية الاستراتيجية لهذه الجزر ولهذا لم تتردد ايطاليا بارسال جنود جوقيين (Legionnaires) ووصل مع ايطاليا حدّ الصراحة باعترافها رسمياً بوجودهم في ربيع ١٩٣٧ ، واعترفت بشهر تشرين اول بوجود ٤٠ ألف جندي يقودهم قادة ايطاليون فضلاً عن ذلك فان صحافة ايطاليا احتفلت بسقوط كلّ من بلباو (Bilbao) وسانتاندر (Santander) في يد قوات فرانكو كانتصارين قوميين [٥٧].

موقف ألمانيا

كانت الحكومة الألمانية تأمل من تدخلها في الحرب الاسبانيّة بفوائد اقتصاديّة وإستراتيجية ، ففي بلباو توجد مناجم الحديد ، كما توجد في اسبانيا مناجم المنغنيز والنحاس والبريطس (pyrite) وكانت ألمانيا تفكّر بان ظفر حكومة فرانكو بالنصر ستستفيد من هذه المناجم ، أما الفوائد الإستراتيجية التي كانت تبغيها حكومة ألمانيا ، وهي أن هتلر كان يفكّر في أن اسبانيا الفاشية في المستقبل ، ستجبر فرنسا على الاحتفاظ بجنودها في حالة حرب فرنسية لـ لمانيـقلى حدود جبال البرنس ، ورغم كل هذا فان هتلر لم يتحمس للعمل على إحراز نصر حاسم لفرانكو بل كان يتمنّى إطالة الحرب ، لإشغال الدول المعادية التي يهمّها مستقبل اسبانيا [٥٨].

موقف بريطانيا

في بريطانيا كانت الحكومة محافظة برئاسة بلدوين ، أما الرأي العمالي في حزب المعارضة فقد كانوا يميلون إلى تأييد حكومة الجمهوريين التي يرأسها نجرين (Negrin) الاشتراكي المعتدل ، إلا أن حكومة بلدوين أصبحت ترى من المصلحة عدم الانحياز ، إلى فريق دون الآخر [٥٩] ، حتى لا يغضب الثوار الذين بدأت كفتهم بالرجوح من جهة ولئلا ينظم هتلر إلى موسوليني جهراً ، وهذا ما لا تريده بريطانيا طبعاً ومن هنا نرى التزام بريطانيا جانب الحياد ، وأن ما تريده هو احترام سلامة أرض اسبانيا بما فيها جزر البالئيار [٦٠] ، وفي كتاب "خطوة بخطوة" نرى تشرشل يقول: "بواسطة الصليب الأحمر أرسلت بريطانيا مساعدات طبيّة وما غير ذلك ابتعدت عن اسبانيا" [٦١].

موقف عصبة الأمم

لقد خرجت ألمانيا النازية من عصبة الأمم ، كما كانت ايطاليا على وشك الخروج –بعد احتلالها للحبشة– حينما اندلعت الحرب الأهلية الاسبانية ، ولذلك لم تتورع هاتين الدولتين في مد يدّ العون والمساعدة مادياً ومعنوياً ، لقوات فرانكو. وبالمقابل قام الاتحاد السوفيتي بمساعدة حكومة الجمهوريين ، وهذه الأمور هي التي وضعت العقبات في فرض حلول للموقف من جانب عصبة الأمم ، كما فشلت جهود الولايات المتحدة في هذا السبيل ، رغم إصدار روزفلت أمراً بعدم تصدير الأسلحة أو مواد التموين إلى أي من الجانبين هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه من الطبيعي أن الولايات المتحدة تكره قيام حكومة شيوعيّة في اسبانيا.

بعد هذه اللمحة الموجزة عن تدخّل الدول الأجنبية ، نرى من الضرورة بيان مجرى الحرب بعد سنة ١٩٣٦ والتي كانت كالتالي:

في آذار ١٩٣٧م حدث أكبر اشتباك حربي حيث قام المتطوعون الايطاليون بهجوم كبير لمساعدة فرانكو على الاستيلاء على مدريد . لكن قوات الحكومة ردّتهم على أعقابهم ولذلك رأى فرانكو أن يهاجم المنطقة الشمالية في باسك (Basque) فاستولى على ميناء بلباو ، وكانت الأنباء تصل إلى العالم الخارجي في نهاية سنة ١٩٣٧ تعادل جانبي القتال في القوّة وتعادلهما في امتلاك كل جانب جزءاً مساوياً للآخر من اسبانيا[٦٢] وكان الفريقان يقفان موقف الدفاع ينتظر كل منهما المساعدات الخارجية ، واستمر تدفّق الأسلحة والمتطوّعين عن طريق فرنسا والبرتغال ، ولكن المساعدات التي تلقاها فرانكو ، زادت بكثير عن تلك التي كانت تصل إلى الجمهوريين ، ففي ربيع سنة ١٩٣٨ اشتدّ ساعد فرانكو فبلغت القوات الايطالية وحدها والتي تعمل معه حوالي ١٠٠ ألف مجنّد ، وكانت مسلحة بالأسلحة الحديثة ، بينما قوات الحكومة كانت آخذة في الضعف ، ومن ثم تقدّم فرانكو فاستولى على مدينة ترول (Terwel) وكانت هذه أول ضربة وجهها فرانكو إلى

قوات الحكومة. واتجه شرقاً نحو البحر ففصل قوات أعدائه إلى قسمين ، وسقطت برشلونة في كانون ثاني سنة ١٩٣٩ ، ثم تبعتها مدريد في آذار سنة ١٩٣٩ ، واضطرت الحكومة الجمهورية أن تنسحب إلى شمال كاتالونيا ، ثم تعبر الحدود إلى الأراضي الفرنسية[٦٣] وبذلك تمّ لفرانكو وقواته النصر الحسم وانتهت الحرب الأهلية في اسبانيا واعترفت فرنسا وبريطانيا بحكومة فرانكو ، وأرسلت فرنسا المارشال (petain) كسفير لها لدى النظام الجديد[٦٤].

وهكذا خمدت النيران التي دام إضرامها من سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ في اسبانيا والتي راح ضحيتها آلاف البشر ، وجاء فرانكو ليعلن حياد اسبانيا عن جميع المشاكل ، والتفرّغ لإصلاح أمورها الداخلية ، وإعادة كل شيء إلى مكانه لتجري الأمور بشكل طبيعي ومنظم.

نتائج الحرب وآثارها

انتهت الحرب الأهلية الاسبانية وكان المنتصر فيها فرانكو ، فأسّس هذا حكومة كاثوليكية دكتاتورية ، أنزلت العقاب بخصومها ومعارضيها السياسيين.

أمّا عن أثر هذه الحرب على وضع اسبانيا الداخليّة ، فكانت اسبانيا مسرحاً لهذا الصراع العنيف ، ولذا ومن الطبيعي أن يكتوي هذا البلد بحرّ لهيب الحرب ، فقد دمّرت هذه الحرب اسبانيا وحطمت اقتصادياتها وأشاعت الفرقة بين مواطنيها لمدة طويلة[٦٥].

وعلى الصعيد الأوروبي لم ترتبط حكومة فرانكو بسياسة الدول التي ساعدته في الحرب ، كألمانيا النازية وايطاليا الفاشية ، لهذا لم تؤثر هذه الحرب في ميزان القوى الدولية في أوروبا ، وقد أعلن فرانكو حياد اسبانيا عندما حدثت أزمة تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٨ ، مما جعل هتلر يسخط على فرانكو الذي أعلن استقلال سياسته. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية بقيت كذلك اسبانيا دولة محايدة. وظلت على عدائها للاتحاد السوفيتي الذي ساعد حكومة الجمهوريين السابقة في اسبانيا[٦٦].

أمّا على الصعيد العالمي فقد كان لها آثار عديدة هامة هي[٦٧]:

(١) نجاح هتلر من الناحية الإستراتيجية بإضعاف مركز بريطانيا وفرنسا وأن يلهيهم بتلك الحرب عن مراقبة أطماعه في وسط أوروبا —وأن يزيد ارتيابهم من الاتحاد السوفيتي —.

(٢) وتبعاً للأثر الأول فقد قدر هتلر أن يمنع من قيام جبهة انجليزية فرنسية ايطالية ضد ألمانيا.

(٣) وقد كان للتعاون الألماني الايطالي في معاونة فرانكو أن تمّ التعاون بين كلّ من هتلر وموسوليني ، تأسيس محور برلين-روما في تشرين أول سنة ١٩٣٦.

(٤) لقد تكبدت ايطاليا الكثير من الخسائر والتضحيات في سبيل فرانكو مما جعل هذه تعتمد على ألمانيا خاصة وأن فرنسا وبريطانيا وقفت موقف المعارض لموسوليني عندما قام بحملة ضد الحبشة.

(٥) انضمت ايطاليا إلى الميثاق الألماني الياباني الذي وقعته الدولتان ضد روسيا في تشرين ثاني سنة ١٩٣٦.

خاتمة

كانت اسبانيا —وكما رأينا — ملكيّة قبل عام ١٩٣٠ ، ثم أصبحت جمهوريّة في سنة ١٩٣١ برئاسة زامورا ، ويمكن اعتبار إقالة زامورا سنة ١٩٣٦ وانتخاب آزانا -بدلاً منه — هي البداية الفعلية للخلافات التي كانت مقدّمةً لحربٍ أهلية ، أكلت اليابس والأخضر على السواء.

إلا أن الأمر الذي زاد الحرب اشتعالاً ، تدخّل الدول الأوروبية وانقسام هذه الدول إلى فريقين:

(١) فريق يؤيد الجمهوريين (حكومة مدريد) وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي.

(٢) فريق يؤيد المتمردين بقيادة فرانكو متمثلاً بايطاليا وألمانيا ، وما قدّمته هذه الدول للفريقين المتخاصمين (الجمهوريين والثوار) من مالٍ وسلاح ورجال هو الذي عقّد الحرب حتى شملت اسبانيا كلّها.

وإذا بحثنا عن وضع هذه الدول المتدخلة في أمور اسبانيا الداخليّة وجدنا بينها خلافاً عقائدياً ، يفرّق بعضها عن بعض ، فالاتحاد السوفيتي شيوعي ، وفرنسا تدخّلت مدفوعة من قبل الاتحاد العام للعمل والحزب الشيوعي فيها ، هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى ، ألمانيا نازية وايطاليا فاشية ، وأمّا بريطانيا فلم تكن من هؤلاء أو أولئك ، لهذا رأيناها التزمت جانب الحياد التام ، وكانت كلّ دولة من هذه الدول تهدف من وراء تدخلها كسب الأطماع التي كانت تتوخاها في اسبانيا.

وأخيراً انتصر الثوّار ، وقامت حكومة فرانكو ، ولكنها لم ترتبط بالسياسة النازية ولا بالسياسة الفاشستية ، وبذلك أحسن فرانكو في عمله هذا ، حيث أنه بدأ ينظّم الأمور في اسبانيا من جديد ، رغم الجراح البليغة التي أثقلت كاهلها.

هوامش البحث

(1) Chambers, Frank P. and his friends, “This age of conflict”, p. 513.

(2) Chambers, Frank P. ibid. p. 513

(3) Chambers, Frank P. ibid. p. 513

(4) Chambers, Frank P. ibid. p. 514

(٥) البطريق ، عبد الحميد ، (١٩٧١) ، "التيارات السياسية المعاصرة" ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص٢٨٦.

(6) Chambers, Frank P. op. cit. p. 515

(٧) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٨٧.

(٨) المرجع السابق ، ص٢٨٨.

(9) Chambers, Frank P. op. cit. p. 516

(١٠) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٨٨.

(١١) المرجع السابق ، ص٢٨٩.

(١٢) المرجع السابق ، ص٢٩٠.

(١٣) المرجع السابق ، ص٢٩٠.

(١٤) المرجع السابق ، ص٢٩٠.

(١٥) بييرونوفن ، (١٩٦٩) "تاريخ القرن العشرين" ، تعريب الدكتور نور الدين الحاطوم ، دار الفكر الحديث ، لبنان ، ص٤٤٨.

(١٦) البطريق ، عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩١.
(17) King-hall, S. (1936) "Our own time 1913-1934", volume 2, I vor Nickolson and Watson ltd., London, page 130
(18) Parker, R. AC., "Europe 1919-1945", p. 198, Paris
(19) ibid. p. 201.
(20) ibid. p. 204.
(٢١) البطريق ، عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٤.
(22) Chambers, Frank P. and his friends, op. cit. p. 518.
(٢٣) البطريق ، عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٤.
(24) Parker, R. AC. op. cit. p. 204
(٢٥) البطريق ، عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٤.
(26) Churchill, W. S. (1942) "Step by step, 1936-1939" Macmillan and Co. ltd., London, p. 51.
(٢٧) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٥٢.
(28) Churchill, W. S. op. cit. p. 87
(29) Churchill, W. S. ibid. p. 88
(٣٠) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٥٢.
(٣١) المرجع السابق ، ص٤٤٨.
(32) Parker, R. AC. p. 203
(٣٣) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٥.
(٣٤) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٤٩.
(35) Chambers, Frank P. op. cit. p. 519
(٣٦) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٥.
(37) Chambers, Frank P. op. cit. p. 519
(٣٨) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٥.
(39) Chambers, Frank P. op. cit. p. 519
(40) ibid. p. 519
(41) ibid. p. 519
(42) ibid. p. 520
(43) ibid. p. 520
(٤٤) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٥.
(٤٥) المرجع السابق ، ص٢٩٦.
(٤٦) المرجع السابق ، ص٢٩٦.
(47) Churchill، W. S. op. cit. p. 51
(48) ibid. p. 62
(٤٩) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٦.
(50) Churchill، W. S. op. cit. p. 87
(٥١) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٤٩.
(52) Churchill، W. S. op. cit. p. 52
(٥٣) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٥٢.
(٥٤) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٧-٢٩٨.
(٥٥) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٥١.
(٥٦) المرجع السابق ، ص٤٥٠.
(٥٧) المرجع السابق ، ص٤٥٠.
(٥٨) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٢٩٨.
(٥٩) المرجع السابق ، ص٢٩٩.
(٦٠) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٥٢.
(61) Churchill, W. S. op. cit. p. 57
(62) ibid. p. 52
(٦٣) بيرونوفن ، مرجع سابق ، ص٤٤٩.
(٦٤) البطريق ، عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٣٠٠.
(٦٥) المرجع السابق ، ص٣٠٠.
(٦٦) المرجع السابق ، ص٣٠٠.
(٦٧) المرجع السابق ، ص٣٠١.

الدكتور خليف غرايبة في سطور:

- بكالوريوس جغرافيا / الجامعة الأردنية (١٩٧٢).
- دبلوم تربية / جامعة اليرموك (١٩٧٩).
- دبلوم انجليزي عالمي / جيرسي بريطانيا (١٩٧٩).
- ماجستير جغرافيا تاريخية / الجامعة الأردنية (١٩٩٠).
- دكتوراه جغرافية تاريخية سياسية / جامعة بغداد (١٩٩٥).
- قام بالتدريس في التعليم العام في كل من الأردن والسعودية وقطر. وقام بالتدريس في التعليم العالي في كل من السعودية والأردن.
- مساعد أكاديمي ونائب العميد في كلية عجلون / جامعة البلقاء التطبيقية. وعضو الجمعية الجغرافية العراقية. وعضو الجمعية الجغرافية السعودية. وعضو الهيئة الاستشارية لدورية كان التاريخية.

الكتب المنشورة:

- مبادئ الجغرافيا البشرية.
- الجغرافية التاريخية للمنطقة الغربية من جبل عجلون.
- التنمية في الوطن العربي.
- التربية الوطنية في الأردن.
- السياحة البيئية.
- السياحة الصحراوية في الوطن العربي.

البحوث المنشورة في مجلات مُحكّمة:

- التركيب الداخلي لمدينة عرعر بالمملكة العربية السعودية.
- التوزيع المكاني للسكان في مدينة عرعر بالسعودية.
- سياسات التنمية المكانية في المملكة العربية السعودية.
- مراحل التوسع المورفولوجي لمدينة عمان بالأردن.
- الزحف العمراني على الأراضي الزراعية في محافظة اربد.
- المستقرات البشرية في لواء عجلون والجزء الجنوبي من قضاء حوران (١٥٩٦).
- الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين.